

من الناصرة إلى كوبنهاجن

د. آمنه حوا ... في حديث المنفى القسري وعشق فلسطين



محطات

ندى عيتاني

تعاني غالبية النساء العربيات في الدانمارك من التشويش الفكري والثقافي، فالمرأة العربية نشأت وترعرعت في مجتمع عربي إسلامي مقيد بعادات وتقاليد لا تعد ولا تحصى، ثم ما لبثت أن انتقلت للعيش في مجتمع أوروبي منفتح الأبواب على الثقافات، حيث لا وجود للعادات والتقاليد التي نشأت عليها، بل هناك حقوق وواجبات ومساواة وقوانين أخرى، ينبغي عليها اتباعها ومراعاتها والتقيدها بها. كل تلك الأوضاع، خلقت لدى المرأة العربية، حالة من عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي.

ونرى كل ذلك جلياً على أرض الواقع، فإما أن تكون امرأة خاضعة لعادات وتقاليد بالية وقاسية تجعلها رهينة البيت، حيث "الأشغال الشاقة المؤبدة"، فلا حصة بتطور فكري ولا تحصيل علمي ولا حتى الانتفاع بأي عمل ووظيفة. وإما امرأة متحررة جداً، ضاربة عرض الحائط، بكل العادات والتقاليد العربية المعروفة وناسفة كل القيم والمبادئ التي ورثتها عن الحضارة العربية، متخذة بأساليب حياتية جديدة، لا تمت للحضارة العربية ولا للدين الإسلامي بصلة.

ولكن... توجد قلة قليلة من النساء العربيات اللواتي عرفن كيف يقمن التوازن بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية. هذه الشريحة من النساء العربيات اللواتي عرفن ماذا يأخذن من القيم والمبادئ العربية الأصيلة وأن يطبقن التعاليم والأحكام الدينية والشرعية التي لا تتناقض مع القوانين الأوروبية، بحيث نجد هناك أعداد من النساء العربيات المسلمات المثقفات المنتجات الفاعلات في المجتمع الأوروبي.

في الحقيقة، هذا ما يدعو إليه الدين الإسلامي والحضارة العربية التي تبنته. فأول كلمة نزلت في القرآن هي "اقرأ"، وقد حث الإسلام على العلم كثيراً حيث ورد في الحديث الشريف:

" العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " و " اطلبوا العلم ولو في الصين " و " اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد " وأحاديث أخرى وأقوال ماثورة كثيرة تدعو إلى تحصيل العلم والمعرفة والمثابرة والسعي إلى العمل.

نلاحظ أن هذه الشريحة من النساء العربيات آخذة بالنمو، وإن كان ببطء، فالعلم متاح والمجالات الثقافية العديدة مفتوحة أمام الجميع.

بإمكاننا الاستنتاج بأن ثمة أسباب عديدة تحول دون انخراط المرأة العربية بشكل بارز في مختلف الميادين العلمية والعملية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

سنناقش في كل عدد من أعداد هذه الصحيفة، سبب من تلك الأسباب التي أدت بالمرأة العربية إلى الخضوع للكسل، وسنعمد إلى فهم هذا الواقع وإلى محاولة إيجاد الحلول والوسائل الناجعة، التي تحفز نشاط المرأة العربية وتجعلها في تقدم و تطور مستمرين.

في مهد طفولتها وشبابها، وهي قيم العلم وحب الوطن. منذ بداية دراستها وهي تكافح من أجل حقوق المرأة والمساواة. لذلك نجدها ناشطة في مختلف المجالات التي تدعم حقول الصحة والتربية وشؤون المرأة والطفل والثقافة.

تقول آمنه أن المشاكل التي تعاني منها المرأة العربية هي نفس المشاكل التي تعاني منها أيضاً المرأة الأوروبية، ولكن بالنسبة للعربية فإن مشاكلها ناتجة عن الاقتصاد المتدهور والذي سببه الغرب في زمن احتلالهم للوطن العربي برمته. وتشير حوا أنها متأثرة بكتابات الكاتبة وأخصائية علم الاجتماع المغربية فاطمة المينيري.

وضع المرأة العربية في الدانمارك

أما عن وضع المرأة العربية في الدانمارك، فترى حوا أنها لم تجد بعد النعمة التي ترقص عليها. فهي ما زالت تتخبط ما بين الميل إلى التطرف الديني أو الميل إلى التطرف المتحضر المبالغ به. وتضيف آمنه أن الثقافة العربية غنية جداً من حيث الحضارة والتراث والعلم والمعرفة. والدين الإسلامي دين متزن وغير متطرف، وخير الأمور أوسطها، لذلك فإن من الأجدى على المرأة العربية أن توفق بين الأمرين وأن تجد الأسلوب الصحيح الذي من خلاله تستطيع أن تتعلم وتتطور بدون جهد جهيد. فالتطرف لا يؤدي إلى الغاية المنشودة بالسعادة. وتقول الدكتورة آمنه " على المرأة أن تبدأ من بيتها أولاً. فعلى عاتقها تقع واجبات شتى منها تعليم أولادها الديمقراطية واحترام الآخر بغض النظر عن جنسيته أو دينه أو عقيدته أو ثقافته. وهي تسدي نصيحة للمرأة العربية بأن تبذل قصارى الجهد بالتركيز على الأمور الجوهرية.

الدفاع عن قضايا المرأة العربية وبسبب خبرة آمنه في موضوع المرأة، فقد دعيت من قبل المركز

الدانماركي للمعلومات والبحوث عن المرأة، للاشتراك بالنشاطات التي تحصل في مختلف البلدان العربية، فأصبحت ممثلة المبادرة العربية لدعم تطور الديمقراطية في الشرق الأوسط، واشتركت في ندوة في الأردن تحت عنوان: نشاط دور المرأة العربية في الحقل الاجتماعي والسياسي وفي عمليات اتخاذ القرارات، وهي عضو في جمعية الصداقة الدانماركية الفلسطينية.

بالإضافة إلى أنها منسقة بين المركز وجمعية التنمية لتطوير المرأة الريفيّة في الضفة وقطاع غزة التي تقوم بدعم مشروع احد من العنف الممارس ضد المرأة وخلق توعية لها.

عضو في أكثر من منظمة نسائية دانماركية

ألفت عدة محاضرات واشتركت في العديد من الندوات في الدانمارك حول توعية المرأة العربية وشرح أوضاعها للدانماركيين، وهي عضو في جمعية "فاكتي" وهي جمعية نسائية متخصصة لدعم الاندماج.

كانت عضواً لأكثر من 10 سنوات في مجموعة الأطباء في منظمة العفو الدولية.

تصف مشوارها الطويل بالحياة بأنه يشتمل على التعب والألم والتضحية والكفاح واللذة والنجاحات.

تختتم الدكتورة آمنه حوا حديثها بالقول بأنها: " فخورة بكل ما أنجزته حتى الآن، وقد منحها ذلك وساماً لخدمة الناس وإكتفاء ذاتياً وثقة عالية بالنفس.

عندما رأيتها أول مرة وكانت تتحدث في ندوة عن سيرتها الذاتية في مدينة أودنسه، شعرت بذكائها وطموحها ووطنيتها. الدكتورة آمنه حوا، تحدثت لـ " أخبار الدانمارك " عن رحلة نجاحها العلمي والمهني التي جعلت منها إنسانة مميزة بالفعل.

آمنه هي أول طبيبة عربية تخرجت من جامعة دانماركية عام 1989. رحلة الألف ميل، بدأت من مدينة الناصرة في فلسطين حيث ولدت آمنه في كنف عائلة متواضعة مؤلفة من عشرة أولاد، ترعرعت جميعاً على حب الوطن والعمل بجد ونشاط في سبيل رفع رايته عالياً.

كانت في سن التاسعة عشر، عندما أنهت الثانوية العامة في الناصرة، وكانت على وشك البدء في دراسة اللغة العربية والتاريخ في جامعة حيفا. إلا أن يد القدر تدخلت لتبعدها عن وطنها الحبيب فلسطين، منتقياً إلى الدانمارك بلدها الثاني، حيث أعطت ومازالت تشق طريقها في قمة العطاء لأبناء شعبها ووطنها.

بداية الطريق الطويلة

وترجع الدكتورة آمنه السبب الأكبر لنجاحها إلى حجم الكبير من الظلم والاضطهاد والتعسف العام الذي مورس ضد أبناء شعبها، وروية أناس أبرياء تسلب منهم حقوقهم الإنسانية.

كل ذلك، كان بمثابة إهانة لشعبها وهي ترفض هذه الإهانة قلباً وقالباً. وللتعبير عن هذا الرقض القاطع، قررت العمل بجد وإخلاص لتثبت إن شعبها الفلسطيني جديراً بالعيش في الحياة وبحق تقرير المصير، كأي شعب من شعوب العالم.

وتقول حوا بنبرة متحمسة " ليس هناك بديل عن الكفاح الوطني الثوري، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية بالذات " وترى إن سلاحها الوحيد بهذا الخصوص هو الكلمة والعلم والثقافة الوطنية.

وتضيف " اشعر بالامتنان إلى وطني الحبيب، لأنه كان الدافع الأكبر لي في تبني لكل ما وصلت إليه حتى الآن.

كانت مهنة الطب بالنسبة لها عملية، شبه مستحيلة لأنها كانت تشعر بالخوف الرهيب من سيول الدماء، فتوجهت في بداية الأمر نحو الدراسة في علم الاجتماع، لكنه بسبب شعورها بأن شعبها يحتاج إلى مهنة الطب أكثر من بقية العلوم الأخرى. فإنها اختارت هذه المهنة الإنسانية لمساعدة أبناء شعبها الذي يتعرض يومياً للمذابح على أيادي جنود الاحتلال "

قيم العلم وحب الوطن

درست السيدة آمنه حوا الطب في جامعة كوبنهاجن، وتخصصت بعد ذلك في الطب العام، ثم درست علم النفس وبعدها علم الأجناس، ثم تخصصت في الجراحة النسائية والولادة.

وبالموازاة مع الدراسة والاختصاصات، أنجبت آمنه 4 أولاد من بينهم طبيبة أطفال وأخرى، أخصائية أمراض نفسية، فهي تحاول أن تغرس في نفوسهم وقلوبهم، نفس المبادئ التي نشأت وترعرعت عليها

أخوكم العربي
د. محمد خليل

na@akhbar.dk

هنا في الدنمرك. أنا مستعد لكي أجاب على أسئلتكم واستفساراتكم، لأكون جسراً بينكم وبين المؤسسة الطبية في الدنمرك. حتى لو كانت أسئلتكم بعيدة شينا ما عن مجال عملي اليومي، فأمل أن أقدر عبر خبرتي واتصالاتي أن أجاب على جميع أسئلتكم واستفساراتكم التي تطرحونها عبر هذه الجريدة.

يخلق جو من الاستياء عند كل من الطرفين وعدم الثقة عند المريض. إن سنحت لي الفرصة في المرات القادمة، فقد أتشرف في إيضاح الكثير من الأمور وخاصة الطبية في الأعداد المقبلة. ذلك لأنني عربي ولدت ونشأت في نفس البيئة التي أتحدث عنها، بالإضافة إلى أنني تلقيت علمي الطبية

من خلال دراسته وممارسته المهنة على أسلوب معين في التعبير من قبل المريض الدانمركي، وكذلك بالنسبة للأخير في عرض المشكلة بأسلوب معين. مفهومنا للمرض وأعراضه كشرق أوسطيين، يختلف عن ما تعلم وتعود عليه الطبيب المعالج. فلا عجب من نشوء الكثير من سوء الفهم الذي

الدنمرك على سبيل المثال، وهذا المفهوم مع المرجعية التاريخية والثقافية ينعكس بطريقة كبيرة على فهمنا للأمراض وأعراضها وعلى أسلوبنا بالتعبير لبعضنا البعض وللمؤسسة الصحية. فمقابلة الأجنبي أو اللاجئ مع الطبيب الدانمركي تحتوي على مفارقات وسوء فهم من كلا الطرفين، فالطبيب المعالج تعود

لكل منا ثقافة وحضارة ينتمي إليها ومن خلالها ينظر إلى العالم من حوله، هذه الثقافة بنيت معنا منذ الصغر وبها تشكلت شخصيتنا، وعندما تكبر يصعب علينا أن نغير بشكل جذري وخاصة في الأمور الحساسة والأساسية. هناك فرق كبير بين مفهومنا للحياة والقضاء والقدر وبين مفهوم المواطن العادي في